" ولا تولوا " قرئ بطرح إحدى التاءين وإدغامها والضمير في " عنه " لرسول ا A لأن المعنى : وأطيعوا رسول ا كقوله : ا ورسوله أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة ا شيء واحد " من يطع الرسول فقد أطاع ا " النساء : 8 ، فكأن رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك : الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان . ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة أي : ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه . أو ولا تتولوا عن رسول ا A ولا تخالفوه " وانتم تسمعون " أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة " ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا " أي ادعوا السماع " وهم لا يسمعون " لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين . والمعنى : أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن . ثم قال : " إن شر الدواب " أي إن شر من يدب على وجه الأرض . أو إن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها " ولو علم ا " في هؤلاء الصم البكم " خيرا " أي انتفاعا باللطف " لأسمعهم " للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال : " ولو أسمعهم لتولوا " عنه . يعني : ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه . أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل : هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان : مصعب بن عمير وسويد بن حرملة : كانوا يقولون : نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء . وعن ابن جريج : هم المنافقون . وعن الحسن : أهل الكتاب .

" يا أيها الذين آمنوا استجيبوا ورسوله إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن ا يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون " .

" إذا دعاكم " وحد الضمير كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول ا A كاستجابته وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة . الطاعة والامتثال . وبالدعوة : البعث والتحريض . وروى أبو هريرة : أن النبي A مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال : ما منعك عن إجابتي ؟ قال : كنت أصلي . قال : ألم تخبر فيما أوحي إلي " استجيبوا وللرسول " قال : لا جرم لا تدعوني إلا أجبتك . وفيه قولان أحدهما : إن هذا مما اختص به رسول ا A . والثاني أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير وإذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته " لما يحييكم " من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت . ولبعضهم : .

لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن .

وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله : " ولكم في القصاص حياة " البقرة : 179 ، وقيل للشهادة لقوله : " بل أحياء عند ربهم " آل عمران : 169 ، " وعلموا أن ا يحول بين المرء وقلبه " يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وع ورده سليما كما يريده ا فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة ا ورسوله " واعلموا أنكم إليه تحشرون " فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة . وقيل : معناه إن ا قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على ا تعالى . فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وقيل معناه : أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفي عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه . وقرئ : " بين المر " بتشديد الراء . ووجهه أنه قد حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول : مررت بعمر .

" واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن ا شديد العقاب "